الدرس الصرفي في منظومة ابن معطي "الدرة الألفية"

Morphological lesson in Ibn Maati's Layout "the Millennium Pearl"

د. جلول دواجي عبد القادر

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2019-02-07. تاريخ القبول: 2019-02-18

الملخص: ألف علماء الجزائر العديد من المصنفات في النظم اللغوي، سبق أن أشار إليها النحاة وأهل اللغة في شروحهم ودراساتهم، وقد كان للمباحث الصرفية نصيب في ذلك، من مداخل عدة نحو ضبط الأحكام، وتيسير القواعد، كما تعددت صيغ النظم في طرح هذه المباحث باختصار أو تفصيل، وإذا كان النظم اللغوي قد استطاع فرض حضوره كظاهرة في الموروث اللغوي الجزائري، فبفضل ما يتمتع به القالب الشعري من خفة الإيقاع، الأمر الذي يجعله سهل الحفظ والاستظهار.

إن عدد العلماء الذين شاركوا في النظم التعليمي كثيرون، وهذا يدل على مدى الجهد الكبير الذي بذله هؤلاء العلماء في سبيل خدمة لغة القرآن، وذلك بتيسير معرفة القواعد النحوية وتسهيل تعلمها لأبناء الأمة الإسلامية. بينهم علماء جزائريون رحمهم الله.

وقد بلغ أمر النظم اللغوي ذروته في القرن السابع للهجرة على أيدي علماء مشهود لهم بالإجادة، والتفوق أمثال "ابن معطي"، فمن هو ابن معطي؟ وما هي أهم الموضوعات الصرفية التي أثارها في منظومته؟ هذا ما ستجيب عنه هذه الورقة البحثية.

الكلمات المفتاحية: علماء الجزائر؛ الدرس الصرفي؛ ابن معطي.

Summary

Algerian scholars authored lots of books in linguistic editing, which grammarians and linguists have mentioned in their explanatory books and studies; lexical chapters were a part of it, including many introductions to adjusting provisions of sentences and words and simplifying rules. Different formulas of layouts put up those chapters briefly or in detail. If linguistic editing could have imposed its existence as a phenomenon in the Algerian linguistic patrimony; it is only because of the lightness of the rhythm of the poetic model which makes it easy to memorize and to recall.

Many scholars, Algerians between them, have contributed in the educational editing; which refers to the big efforts exerted by them to serve Quran language, by making it easy for the learners i.e. Islamic nation sons, to recognize grammatical rules and simplify the process of learning them.

Linguistic editing had reached a peak during the seventh century of Hegira, by scholars known for their mastery and excel of language like "Ibn Maati" for instance, So who is Ibn Maati? And what are the main lexical subjects he treated in his Layout? We shall answer all that in this paper.

Key words *: Algerian scholars;* Lexical lesson; *Ibn Maati.*

1- مدخل إلى نشأة النظم وتطوره ورواده:

لقد هبَّ علماؤنا الأوائل لخدمة اللغة العربية بصفة عامة والنحو بصفة خاصة ، وذلك بوضعهم المؤلفات العديدة ؛ ليتمكن المتعلِّم من الاطلاع عليها والاستفادة منها ، فيسهل عليه فهم كتاب الله وسنة رسوله ρ ، إلا أن متعلمي النحو ودارسيه قد واجهتهم صعوبات جمة، نظرا لكون النحو صورة للُّغة العربية بجميع ظواهرها ، وهي لغة غنية وواسعة ، مما جعل بعض العلماء يسلكون طرقا متعددة لتسهيل تعلمها رسما ونطقا وتعلما لقواعدها على المتعلمين.

ومن تلك الطرق تأليف المنظومات التعليمية لأنها وسيلة تُسَهِّل على المتعلم حفظ ما يَتعلَّمه ، فتُمكِّنَهُ المنظومةُ من الإلمام بالقواعد، وتُيَسِّر له فهم نصوص الفصحى ، وتُعَوِّد لسانه التحدث بها ، فالنظم طريقة مثلى لتدريس العلوم وبخاصة علوم العربية وبالأخص النحو، فجهود علمائنا الأوائل في هذا المجال كبيرة.

وبما أن العلم يحتاج إلى حفظ القواعد والأحكام فقد فَطِنَ مُصَنِّفُو العلومِ وبخاصة النحوُ إلى أنه بالإمكان توظيفُ نظمِ الشعر وإيقاعاته في صياغة منظومات نحوية تُسهم في تسهيل تَعَلُّمِه ، وتيسير حفظ قواعده وتُمكِّن من استيعابه ، وسرعة استحضاره وقت الحاجة ؛ لأن حفظ القاعدة هي الوسيلة الْمُثْلَى للابتعاد عن اللحن والتعبير بلغة فصحى.

وقد لجأ علماء النحو إلى النظم ؛ نظرا لحرصهم على تعليم النحو ، ولهذا كَثُرَ النَّظْمُ النحوي بين قصيدة على قافية واحدة إلى أرجوزة متعددة القوافي ، وبين نَظْمٍ في مسألة واحدة من مسائله إلى نَظْمٍ يستغرق كل أبوابه ومسائله(1) .

فالمنظومات النحوية نوع من الشعر التعليمي، واختلفت آراء الباحثين في نشأة الشعر التعليمي لدى العرب ، فذهب كثير منهم إلى أن العرب لم يعرفوا هذا اللون من الأدب إلا في القرن الثاني الهجري ، ثم ذهب بعض هؤلاء إلى أنه نَشَأَ نشأةً عربية خالصة(2) ، وذهب بعضهم إلى أنه نشأ نتيجة اتصالهم بالثقافة الوافدة عليهم ، إما الهندية أو اليونانية(3) ، ولكن المستقرئ لشعر العرب يجد أنهم قد عرفوا هذا اللون من الشعر منذ الجاهلية(4) لا حاجة لنا في الحديث عنها خوف الإطالة.

ازدهر الشعر التعليمي وراج في العصر العباسي، فقد فنُظمت به كثير من الفنون والعلوم(5) ؛ نظرا لازدهار العلم واتساع المعارف وازدياد الإقبال على العلم مما جعل المتعلمين يشعرون بحاجتهم إلى النظم ليسهل عليهم حفظ المعلومات وتداولها ونقلها ؛ لكون النظم وسيلة سهلة للحفظ والرواية(6) .

ويُعَدُّ ابتداء العلماء في النظم النحوي ارتيادا لطريق نحوَ أسلوبٍ جديد لتعليم النحو كان له آثار بعيدة المدى فيه أهمها تنشيط الحركة العلمية ؛ إذ كثر إقبال طلاب العلم على حفظه ؛ لأن النظم أسهل حفظا وأيسر استحضارا وأكثر رواجا من النثر ؛ لما فيه من الأوزان المستحبة والموسيقى المستعذبة .

والنظم العلمي يختلف عن المتن العلمي المنثور ، فهو يتسم بالاختصار وإيجاز العبارة ، وبروز التلميح بدلا من التصريح ؛ نظرا لما تستلزمه الأوزان الشعرية من حاجة إلى التقديم والتأخير والحذف ونحو ذلك ، فهو يقتضي من الدارس وبخاصة إذا كان يدرس منظومةً موضوعة لغير المبتدئين أن يبذل المزيد من الجهد ؛ من أجل أن يدرك ما يتضمنه هذا النظم من الإشارات(7) ، ولن يتمكن من بذل الجهد الزائد في تعلم النحو إلا من كان لديه إلمام جيد بالنحو وثقافة حسنة فيه ، فبهذا يصبح النظم وسيلة فعَّالة في زيادة الحصيلة العلمية لدى المتعلم ، مما ينتج عنه رفع المستوى العلمي للمتعلمين ونشاط الحركة العلمية فيها .

ومن العلماء الذين صنفوا في النظم التعليمي والنحوي بالأخص نذكر على سبيل المثال:

أحمد بن منصور بن الأَغَرِّ اليَشْكُرِيُّ ، المتوفى سنة 370 هـ، وجمال الدين أبو القاسم يوسف بن محمد بن يوسف التَّوْزَرِيّ الرشيدي ، المعروف بابن النحوي، المتوفى سنة 513 هـ، وأبو محمد القاسم بن علي بن عثمان الحريري ، المتوفى سنة 516 هـ، وأبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن هشام بن أحمد الفهري الشنتمري ، كان حَيًّا سنة 553 هـ ، ومُهَذَّبُ الدين أبو المحاسن مُهَلَّب بن الحسن بن بركات الْمُهَلَّبِيُّ المصري ، المتوفى سنة 583 هـ، والحسين بن أحمد بن خيران البغدادي ، المتوفى قبل سنة 600 هـ، وركن الدين أبو الفضل العراقي بن محمد العراقي القزويني الطاووسي ، المتوفى سنة 600 هـ، وأبو المرجي سالم بن أحمد بن سالم بن أبي الصقر ، المعروف بالْمُنْتَجِب ، المتوفى سنة 611 هـ، وأبو عمرو محمد بن عبد الله بن غَيَّاث الجذامي الشريشي ، المتوفى سنة 619 هـ، وزين الدين أبو الحسين يحيى بن مُعْطٍ بن عبد النور ، المتوفى سنة 628 هـ، وعلم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي ، المتوفى سنة 643 هـ، وعز الدين أبو العباس أحمد بن علي بن مَعْقل الأزدي المهلبي الحمصي ، المتوفى سنة 644 هـ، وأبو عمرو عثمان بن عمرو بن أبي بكر ، المعروف بابن الحاجب ، المتوفى سنة 646 هـ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين الموصلي الحنبلي ، الْمُلَقَّبُ بِشُعْلَة ، والمتوفى سنة 656 هـ، وجمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الصَّرْصَرِيّ الضرير ، المتوفى سنة 656 هـ، ونجم الدين أبو النصر فتح بن موسى بن حماد الأموي الجزيري القَصْرِيُّ ، المتوفى سنة 663 هـ، وشهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي ، المتوفى سنة 665 هـ، وجمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الْجَيَّاني الأندلسي الأصل ، المتوفى سنة 672هـ، وأبو الحسن حازم بن محمد بن الحسن الْقَرْطَاجَنِيُّ الأنصاري الأندلسي ، المتوفى سنة 684 هـ، وشهاب الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الخليل بن سعادة الْخُوَيِّيُّ ، المتوفى سنة 693 هـ، وعز الدين أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد بن عبد الله الدُّمَيْرِيُّ المعروف بالدَّيْرِينِيِّ ، المتوفى سنة 694 هـ، وفخر الدين أبو عاصم علي بن عمر الفقيهي الإِسْفَنْدَرِيُّ ، المتوفى سنة 698 هـ، وأبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن المالقي المعروف بابن المرحل ، والمتوفى سنة 699 هـ، وفخر الدين محمد بن مصطفى بن زكريا بن خواجا الدَّوْرَكِيُّ الصَّلْغَرِيُّ ، المتوفى سنة 713 هـ، وأثير الدين أبو حَيَّان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حَيَّان الأندلسي ، المتوفى سنة 745 هـ، وشمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان الإسعردي الدمشقي المصري ، المتوفى سنة 749 هـ، وزين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن الوردي ، المتوفى سنة 749 هـ، وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الْهَوَّاري الأندلسي الضرير ، المتوفى سنة 780 هـ، وأبو القاسم محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن علي الغساني البرجي الغرناطي ، المتوفى سنة 786 هـ، وأبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي ، المتوفى سنة 807 هـ، وشمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الجزري ، والمتوفى سنة 833 هـ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني ، المعروف بحفيد ابن مرزوق أو الحفيد ، والمتوفى سنة 842 هـ، وشهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المالكي المعروف بالْخُلُّوف ، والمتوفى سنة 899 هـ، والحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي ، المتوفى سنة 911 هـ، وعبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد بن موسى المكناسي المغربي المالكي، المتوفى سنة 964 هـ، وعبد الوهاب بن أحمد بن علي التلمساني الشعراني ، المتوفى سنة 973 هـ، وعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عامر

الأخضري المغربي المالكي ، المتوفى سنة 983 هـ، وبدر الدين أبو البركات محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن بدر الغزي العامري الشافعي ، المتوفى سنة 984 هـ، وجمال الدين محمد بن أبي بكر الأَشْخَر اليمني الشافعي ، المتوفى سنة 991 هـ[8].

ومن هنا فإن عدد العلماء الذين شاركوا في النظم النحوي كثيرون، وهذا يدل على مدى الجهد الكبير الذي بذله هؤلاء العلماء في سبيل خدمة لغة القرآن، وذلك بتيسير معرفة القواعد النحوية وتسهيل تعلمها لأبناء الأمة الإسلامية بينهم علماء جزائريون رحمهم الله.

ألف علماء الجزائر العديد من المصنفات في النظم اللغوي، سبق أن أشار إليها النحاة وأهل اللغة في شروحهم ودراساتهم، وقد كان للمباحث الصرفية نصيب في ذلك، من مداخل عدة نحو ضبط الأحكام، وتيسير القواعد، كما تعددت صيغ النظم في طرح هذه المباحث باختصار أو تفصيل، وإذا كان النظم اللغوي قد استطاع فرض حضوره كظاهرة في الموروث اللغوي الجزائري، فبفضل ما يتمتع به القالب الشعري من خفة الإيقاع، الأمر الذي يجعله سهل الحفظ والاستظهار.

وقد بلغ أمر النظم اللغوي ذروته في القرن السابع للهجرة، على أيدي علماء مشهود لهم بالإجادة، والتفوق أمثال "ابن معطي"، فمن هو ابن معطي؟ وما هي أهم الموضوعات الصرفية التي أثارها في منظومته؟.

2- ابن معطي قراءة في سيرته وآثاره:

هو يحي بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي الحنفي، الملقب بزين الدين، والمكنى بأبي الحسين، والمشهور بـ "الزواوي"، نسبة إلى زواوة[9]، التي تتلمذ بها على شيخه "الجزولي" الذي أقام ببجاية، فأقبل عليه طلاب المعرفة ينهلون من علمه[10]، وقيل: إنه ولد بالمغرب سنة (564 هـ)، ورُجّح أنه ولد بظاهر بجاية؛ حيث قبيلته[11]. وعن بجاية يقول صالح بلعيد: "في مدينة بجاية الحضارة والتاريخ والعلماء، مدينة سجلت ذات يوم تاريخا مفعما بالانتاج بأثرها المشهود في فسطاط القاهرة الذي كان أجداد المنطقة من بناته، ومنها انطلقت وتائر التصاعد الحضاري إلى أوروبا التي عدت عندهم شمعة الحضارة أضاءت أوروبا المظلمة"[12]، ويضيف قائلا: "إن بجاية أثرت وتأثرت، أخذت وأعطت، فلقد كانت قلعة العلماء والنوابغ، قصدها الخلق من كل صوب بعيد، تيمنا بحضارتها وحفاوتها بالمقيم والرحيل، حل بها ابن خلدون وأصبح قاضيها، وذكرها في مقدمته مرات ومرات، فكان يثني على جمالها ويتمنى الإقامة بها..."[13]

عاش ابن معطي حياته شطرين، الأول بالمغرب، أين تلقى معارفه، والثاني بالمشرق الذي شدّ الرحال إليه؛ مصنفا وناظما، أيام ازدهار الحياة الفكرية في المغرب وتقدم علوم العربية ببروز عدد من العلماء الأجلاء، كـ "الجازولي"، و"السهيلي"، و"ابن عصفور"، و"ابن مضاء"، و"ابن مالك" وغيرهم، حيث يعد كل واحد منهم مدرسة قائمة بذاتها، وانتشرت المدارس اللغوية؛ فأقبل الطلاّب عليها؛ للاستفسار عن مسائل اللغة، وكذا مباحثها، وقضاياها، ولمعرفة آراء العلماء فيها[14].

تلقى "ابن معطي" علومه على أيدي عدد من العلماء الأجلاء، الذين كان لهم أثر بالغ في تكوينه، وتطعيم ملكاته، يتقدمهم "الجازولي المغربي" (ت 607هـ)، المكنى بـ "أبي موسى"، ونسبته إلى "جزولة"، وهو عيسى بن عبد

العزيز، وكذلك "ابن عساكر" (ت 600هـ)؛ وهو القاسم بن علي بن الحسن، وأيضا "تاج الدين الكندي" الملقب بـ "تاج الدين"، وكنيته أبو اليمن، زيد ابن الحسن (ت 613هـ) بدمشق[15].

كان "ابن معطي" يقدم دروسه في شكل حلقات، يحضرها جمع من الناس، يقصدونه بدمشق أو "جامع عمرو بن العاص" في القاهرة، ومن تلامذته: "السويدي الحكيم" شيخ الأطباء، عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري الدمشقي (ت 690هـ)، وأبو بكر بن عمر بن علي بن سالم القُسَنْطِينيّ النحوي الشافعي (ت 695هـ) بالقاهرة، و"ابن العطّار" الكاتب، إبراهيم بن أبي عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن يوسف أبو إسحاق الأنصاري الدمشقي، (ت 649هـ).

أما عن وفاته فقيل أن "ابن معطي" توفي سنة (628 هـ)، باتفاق أغلب المؤرخين له، غير أنّ "ابن كثير"، فكان له رأي آخر؛ حيث ذكر أن وفاته كانت سنة (629 هـ)، في حين ذهب "ابن عماد الحنبلي" إلى أن وفاته كانت في ذي القعدة (628 هـ) بمصر، وذكر "أبو شامة" المؤرخ، ولعله الأصدق ورأيه الأرجح؛ لأنه شهد جنازته بمصر؛ وذكر فقال: «في مستهل ذي الحجة عام (628 هـ)، توفي زين الدّين النحوي يحي بن معطي الزواوي رحمه الله بالقاهرة، وصلىّ عليه بجنب القلعة عند سوق الدّواب، وحضر الصلاة عليه السلطان "الكامل بن العادل"، ودفن بالقرافة في طريق قبة الشافعي رحمه الله على يسار المار إليها، على حافة الطريق، محاذيا لقبر "أبي إبراهيم المازني" رحمه الله، حضرت دفنه والصلاة عليه، ولقد كان آية في حفظ كلام النحويين»[16]؛ لقد وافته المنية، وترك إرثا لغويا يشهد على عبقرية التفكير الجزائري في التنظير لعلوم اللسان، على اختلافها.

ترك "ابن معطي" آثارا قيّمة شهدت له التفوق في مجاله، وقد طغى على تأليفه أسلوب النظم، ومن مصنفاته: "الدرة الألفية في علم العربية"، و"البديع في صناعة الشعر"، و"حواش على أصول ابن السرّاج في النحو"، و"ديوان خطب"، و"ديوان شعر"، و"شرح أبيات سيبويه"، و"شرح المقدمة الجازولية" لشيخه الجازولي، و"شرح الجمل في النحو للزجاجي"، و"العقود والقوانين في النحو"، و"الفصول الخمسون"[17].

3- قراءة في منظومته "الدرة الألفية في علم العربية":

حفل أسلوب "ابن معطي" في نظمه بالتقسيم والعنونة؛ في صياغة مباحث الصرف واستحضار الشواهد على اختلاف مصادرها، من القرآن الكريم والشعر العربي؛ على سبيل الاستشهاد والتمثيل، فلم يطرق مسألة من مسائل الصرف إلا مثّل لها بعد ذكره القاعدة؛ نحو قوله:

وَحَالُ مَا نُكِّرَ قَبْلَهُ تَحِل كَقَوْلِهِ لِمَي مُحِشَا طَلَلَ

وَقدْ تَكُن تأكيدًا كَما قال: هو الحق مُصدِّقا لِماَ

كقولـه: أَرْسلها العراكا وجهده ووحده أتَاكَا[18].

هناك شاهد من القرآن الكريم، في عجز البيت الثاني؛ قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ** ﴾ سورة فاطر، الآية: 31.

وشاهد من الشعر، في عجز البيت الأول "لميّة موحشا طلل"، وتمامه لكثيّر: "يَلُحُ كَأنَّه خِلَلُ".

وشاهد من الشعر أيضا، في صدر البيت الرابع "أرسلها العراكا"، وتمامه بيت للبيد:

فأرسلها العِراك ولـم يذُدْها ولم يُشْفِق على نغصِ الدِّخالِ[19].

ومما قيل في الألفية ما ذكره "ابن الخباز": «إن عقد الدرة الألفية يعجز أهل العصر عن نظم نظيره، بل له نُظرائه لما أودعه مؤلفه من المسائل جمع متفرقها باعتنائه، فنظم نثرها في أثنائه، وقد سُئلت غير مرة أن أملي له شرحا مختصرا، يهدي بكواكبه في ظلمائه، ويروي ظمأ الطلبة بارد مائه، فأرهفت سيف العزم لمضائه قبل فوات الغرض من العمر بانقضائه»[20].

فرضت هذه المنظومة حضورها واهتم بها شرّاح المتون، وأنصفها في الحكم كثير منهم، أمثال المقري، وما ذكره وهو بصدد الترجمة لابن مالك: «واعلم أن الألفية مختصرة الكافية، كما تقدم، وكثير من أبياتها فيها بلفظها، ومتبوعة فيها ابن معطي، ونظمه أجمع وأوعب، ونظم ابن معطي أسلس وأعذب»[21].

وكيف لا يتأتى له ذلك وهو المشتغل باللغة نظما، ودرسا، وتصنيفا، ومما لا شك فيه أن "ابن مالك" كان كثير الاطلاع على ألفية "ابن معطي"، وهذا ما أقره "ابن حجر العسقلاني"، وهو بصدد الترجمة لأحمد بن عبد الرحيم بن شعبان الدمشقي الحنفي؛ حيث ذكر أنه قرأ الدرة الألفية لابن معطي على مسمع "ابن مالك"[22].

اهتم بالألفية عدد من الشّراح ممن يُشهد لهم بالثقة والتفوق، وبُعد النظر في الشرح، ومن هؤلاء: أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالي بن منصور بن علي، شمس الدين ابن الخباز الإربليّ الموصلي النحوي الضرير (ت 637)[23] ، وقد حمل شرحه عنوان: "الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية"، ومحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سُجْمان، جمال الدين أبو بكر الوائلي البكري الأندلسي الشَّيشَّي المالكيّ (ت 685)[24]، وحمل شرحه عنوان: "التعليقات الوفيَّة بشرح الدرة الألفية"، وغيرهما دلالة على القيمة اللغوية للألفية؛ لكن هذه الشروح لم يقدّر لها من الانتشار ما قدّر لشروح ألفية "ابن مالك"؛ «حتى ليجعل بعضهم شرحا لألفية "ابن معطي" شرحا لألفية "ابن مالك"»[25].

4- الدرة الألفية والموضوعات الصرفية:

من الموضوعات الصرفية التي أتى "ابن معطي" في درته الألفية كثيرة ومتنوعة، نقتصر على بعض منها ونعرض نماذج من شأنها إعطاء فكرة عن فكره وتفكيره الصرفي، ومن هذه الموضوعات:

1- **مصطلح التصريف**: هو فن له مقدمات ذكرتها بعض المصنفات العربية؛ «المقدمة الأولى للتصريف معنيان لغوي واصطناعي؛ فاللغوي جعل الشيء في جهات مختلفة، قال تعالى: "تصريف الرياح"؛ لأن مهابها مختلفة، ومعناها الصناعي تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعاني مقصودة لا تحصل إلا بها؛ مثال ذلك: ضرب، إذا أردت منه مثال الماضي قلت ضرب، وتقول في مثال المضارع يضرب، وفي مثال الأمر اضرب، وفي اسم الفاعل ضارب، وفي المبالغة فيه ضروب وضرّاب، وفي المفعول مضروب، وفي تكثير الفعل ضرّب، وفي وجود الحركة مع الفعل اضطرب»[26]، وقال "الجرجاني": «اعلم أن التصريف "تفعيل" من الصّرف؛ وهو أن تصرِّف الكلمة المفردة، فتتولد منها ألفاظ مختلفة، ومعان متفاوتة»[27].

وقال "ابن هشام الأنصاري": «وهو تغييرُ في بِنْية الكلمة لغرض معنويّ أو لفظيّ، فالأول كتغيير المفرد إلى التثنية والجمع، وتغيير المصدر إلى الفعل والوصف، والثاني كتغيير "قَوْلٍ" و"غَزْوٍ" إلى "قال" و"غَزَا»[28]، وذكر ابن معطي:

وَالقَوْلُ فِي التَصْرِيفِ وَهْوَ يَشْتَمِلْ عَلَى زِيَادَةٍ وَحَذْفٍ وَبَدَلْ[29].

ذلك أنه «يشتمل على الزيادة، وقَلب، وبَدَل، ونَقْل، وحَذْف، وإدغام»[30].

2- "ما لم يُسَمَّ فاعله": وعلامته «أن يُضَمَّ أَوَّلُه ويُكسرَ ما قبلَ آخره، وإن كان ماضيا، ما لم يكن مُعتلَّ الوسَط، نحو: قال وباع، فيُكْسَر أوله فتنقلب الواو ياء، نحو: قِيلَ، وبِيعَ، وقد يُشَمُّ الضَّمُّ فيه، وقد يجوز ضَم أوله فتنقلب الياءُ واوا، نحو قولهم: كُولَ الطَّعامُ، وإن كان مضارعا ضُمّ أوّلُه، وفُتِحَ ما قبلَ آخِرِه، نحو قولهم: يُباعُ الغُلامُ»[31].

وجاء على لسان الواسطي الضرير: «وإذا أردت ألا تُسَمّى الفاعلَ عمِلْتَ ثلاثة أشياء: أحدهما: أَنْ تَضُمَّ أَوَّلَ الفِعْلِ وَخُصّ بِذَلِكَ ليكونَ دَالاًّ على المِحْذوفِ الذي هو الفاعلُ، والثاني: أنّك تَحْذِفُ الفاعِلَ، وإنّما حَذَفْتَهُ لأنّ الفِعْلَ ها هنا بُنِيَ للمفعول لأنَّهُ جائز أن تجعل الغاية تارةً بالفاعِل، كقامَ زيدُ وتارةً بالمفعول كـ (قُتِل الخارجيُّ)، والثالث: أنّك تَكْسِرُ ثاني الفِعْلِ وخُصّ بذلك، لأنّه لو ضُم لكان مثله طنُبُ ولو فُتح لكان مثله: نُغَزُ فكُسِرَ ليكون مخالفا لغيره من الأسماء والأفعال وذلك قولك: ضُرِب زَيدُ[32]، أما عن "ابن معطي"؛ ف:

القَوْلُ فِيمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهْ قَدْ يَحْذِفُ الفَاعِلَ لَفْظًا جَاهِلُهْ

أَوْ عَالِمٌ فِي حَذْفِهِ لَهُ عَرَضْ إِذْ ذَاكَ فِي المَفْعُول رَفْعُ مُفْتَرَضْ[33].

3- الأفعال الغير متصرفة: أما عن الأفعال غير المتصرفة فأصلهما نَعِمَ وبَئِسَ، وما كان على فَعِلَ ووسطه حرف حَلْقٍ، ففيه أربع لغات أصلية: فتح الأول وكسر الثاني، وكسر الأول وكسر الثاني اتباعا، وفتح الأول وإسكان الثاني، وكسر الأول وإسكان الثاني وفاعلهما إمّا ظاهرُ وإمّا مُضمَر[34].

ذكر ابن عقيل (ت. 769هـ): «مذهب جمهور النحويين أن "نعم" و" بئْسَ" فعلان بدليل دخول تاء التأنيث الساكنة عليهما، نحو: "نِعْمَتِ المرأةُ هِنْدُ" و" بِئْسَتِ المرأةُ دعدُ»[35].

عرّفها "القاسم أبو نصر" فقال: وهما فِعْلان ماضيان دالاّ على المدحِ والذم، يَدُلُّك على كونهما فعلين أنّ تأنيثهما كتأنيث الأفعال[36].

وَمِنْهُ نِعْمَ وَهْوَ فِعْلُ المِدْحِ وَبِئْسَ لِلذَّمِّ وَذِكْرِ القُبْحِ

فَالْمَدْحُ نِعْمَ العَبْدُ عَبْدُ اللهِ وَالذَّمُّ بِئْسَ العَبْدُ عَبْدُ لَاهِي[37].

أما "حبذا فـ«فِعلُ رُكِّب مع فاعلهِ واقترنا معاً، فصار اسمًا واحدًا يرفع بالابتداء والممدوح بعد حَبَّذَا مرفوع على أنه خبر المبتدأ، ويقع بعده نكرة، منصوبة على التمييز، كقولك: حبذا زيدُ رَجُلاً وحبَّذا محمد رسولاً»[38].

وذكر ابن عصفور (ت669 هـ): «اعلم أن"حَبَذّا" مرّكبة من"حَبَّ" و"ذا" إلا أنّ النحويين اختلفوا فيها، فمنهم من ذهب إلى أَنَّ "حَبَّ" مع "ذَا" لم يجعلا كشيء واحد بل "ذا" عندهم فاعل "حَبَّ" والاسم الواقع بعد اسم الإشارة يجوز فيه مذهب هؤلاء من الإعراب، ما يجوز في الاسم الممدوح أو المذموم في باب "نعم" و"بئس"، فيكون خبر الابتداء مضمر، وكأنّه قال:"هو زيدٌ"؛ أي: المحبوب زيدُ أو مبتدأ والخبر محذوف، والتقدير: زيدٌ المحبوبُ، فحذف الخبر، أَو يكون

مبتدأ و"حبّذا" في موضع خبره، واستغنى باسم الإشارة عن الضمير، كما كان ذلك في قوله تعالى﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ سورة الأعراف: الآية 26.، في قراءة من رفع "لباس التقوى" أي هو خير»[39].

وهي في تحديد الواسطي الضرير ما أشار إليه بالقول: «اعْلَم أنّ (حَبَ) فعلٌ، وذا فاعلُهُ، وقد غلّبت العرب فيها معنى الاسميّة، وإنّما غَلَّبَت الاسْمِيَّةَ لشيئين أحدهما: أنّ الاسمَ مع مِثْلِهِ يُفيدُ والثاني: أنَّنا لَمْ نَرَ فعلاً جُعل مع الفعل كالشيء الواحد، وقد جُعِلَ الاسْمُ مع الفِعْلِ كذلك فَصَارَ هذا قُوةً للاسم وَأَصْلُ (حَبّ): حَبُبَ فَأُدْغِمَتِ الباءُ في الباء يَدُلُّك على أنّه فِعْلُ قَوْلُهُم في اسم الفاعل: حَبِيب، وَأَكْثَرُ ما يجيءُ اسْمُ الفاعل على فعِيل لما كان على فَعُل نحو: ظَرُف فهو ظَرِيف»[40]، وفي تحديد "ابن معطي":

وَجَعَلُوا لِلْمَدْحِ أَيْضًا حَبَّذَا فَحَبَّ فِعْلٌ وَبِهِ يُرْفَعُ ذَا
وَاقْتَرَنَا مَعًا فَصَارَا مَدْحًا كَحَبَّذَا نُصْحُ الشَّفِيقِ نُصْحَا
وَحَبَّذَا مُحَمَّدُ رَسُولَا وَالحَالُ وَالتَّمْيِيزُ فِي ذَا قِيلَا
وَذَلِكَ المَمْدُوحُ فِيهَا خَبَرُ لِحَبَّذَا أَوْ مُبْتَدَا يُقَـدَّرُ[41].

4- فعلا التعجب (ما افعله) و(افعل به): وجاء في مبحث التعجب أن "فعل التعجب" وله لفظان:"ما أَفْعَلَهُ" و"أَفْعِلْ بِهِ" كقولك: ما أَحْسَنَ زَيْدًا، وَأَحْسِنْ بِزَيْدٍ وكلاهما لا يكون إلا من فِعْلٍ ثلاثي غير خِلْقةٍ، ولا يتصرّف فِعْلا التعجّب، ولا يفصل بينهما وبين معموليهما، ولا يتقدم معمولهما عليهما[42]، و«التعجب معنى من المعاني التي تحدث في النفوس، وحقيقته إظهار الحيرة من شيء، بدع في خصلة على شركائه فيها بخفاء؛ بسبب براعته فيها، وقد وضعوا له لفظين، واستعملوا فيه غالبا، وهما "ما أفعله" و"أفعل به"، فالأول كقولك "ما أحسن خالدا"، أما "ما" فمذهب "سيبويه" أنها نكرة غير موصولة ولا موصوفة؛ بمعنى شيء، وهي في موضع رفع بالابتداء، وهذا القول متميّز؛ لأن باب التعجب الإبهام، ولذلك يقال إذا ظهر السبب بطل العجب»[43].

أما الواسطي الضرير فقال: «والتعجب يكونُ بلفظين ما أَفْعَلَهُ، وأَفْعِلْ بِهِ، وَقَدْ حُمِلَ عَلَيهما لفظان آخران وهُما: هُو أَفْعَلُهُما، وَهُو أفعَلُ من هذا، تَقُولُ: ما أحسنَ زَيدًا، وأَحْسِنْ بزَيدٍ، وهَذَا أَحْسَنُ مِنْ هَذَا، وأَحْسَنُهُما»[44].

ولا يتصرف فعلا التعجّب، بل يلزم كلٌّ منهما طريقةً واحدةً، فلا يستعمل من "أَفْعَلَ" غير الماضي، ولا من أَفْعِلْ" غيرُ الأمر، وهذا مما لا خلاف فيه، لا يجوز تقديمُ معمول فعلِ التعجب عليه، ويجب وَصْلُه بعامله[45]، وذكر ابن معطي في درته:

القَـوْلُ فِيمَا لَمْ يُصَرَّفْ مِنْهُ فِعْلُ التَّعَجُّبِ أَبَنْتُ عَنْهُ
تَقُوُل مَا أَحْسَنَ خَالِدًا فَمَا مُبْتَدَأٌ مُنَكِّرُ قَدْ أَبْهِمَا
وَخَالِدُ مُنْتَصِبٌ بِأَحْسَنَا وَإِنْ تَقُلْ أَحْسِنْ بِخَالِدٍ هُنَا
فَاللَّفْظُ لَفْظُ الأَمْرِ وَالمِعْنَى خَبَرْ مَعْنَاهُ مَا أَحْسَنَهُ وَقَدْ ظَهَرْ
وَلَا تُصَرِّفْهُ وَلَا تُقَدِّمَا مَعْمُوَلُه وَلَا تَحُلْ بَيْنَهَمُا[46].

5- المصدر: والمصدر موضوع آخر من موضوعات الصرف؛ «ينقسم إلى المبهم، ومعدود، ومختص؛ فالمبهم: أُتِيَ به لتأكيد الفعل نحو: "ضربت ضربًا، ومعدود: أتي به لعدد مرّاته كقوله: "ضربت ضربة وضربتين"، ويعبر عنه بالمحدود، والمختص: أتي به لبيان النوع، وهو إمّا نكرة موصوفة، أو معرف باللام؛ كقولك: "ضربته ضربا شديدًا"، و"ضربته ضربَ زيدٍ" و"ضربته الضَّرْبَ"»[47].

أما "ابن هشام الأنصاري" (ت.761هـ) فقال فيه: «والمصدر كضربٍ وإكرام إن حلَّ محله فِعل مع أَنْ، أو مَعَ مَا ولم يكن مصغرًا، ولا مضمرًا، ولا محدودًا، ولا منعوتًا قبل العمل، ولا محذوفًا، ولا مقصورًا من المعمول، ولا مؤخرًا عنه، وإعماله مضافًا أكثرَ نحو:"ولولا دفع الله الناس»[48]، وعرّفه "الجرجاني"(ت. 471 هـ) بالقول: «المصدر ما دلّ على الحدث لا غير، ويسمى حدثًا وحدثانًا، واسْم معنى»[49]، وقال "ابن معطي":

وَيَعْمَلُ المِصْدَرُ مَهْمَا قُدِّرَ بِأَنْ وَفِعْلٍ مِنْهُ مَا تَنَكَّرَا
كَسَرَّنِي ضَرْبُ سَعِيدُ عَمْرَا وَسَاءَنِي إِغْضَابُ عَمْرو بَكْرَا
وَإِنْ يَكُنْ بِاللَّامِ قَدْ تَعَرَّفَا كَالضَّرْبِ مِسْمَعًا فَقَالُوا ضَعُفَا[50].

6- اسم الفاعل: واسم الفاعل «إذا أريد به الحال أو الاستقبال' نحو قوله تعالى: ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ سورة الأحقاف، الآية: 24.

أما "ابن هشام الأنصاري" فقال فيه: «واسم الفاعل كضاربٍ ومكرم، فإن كان بأَلْ عمل مطلقا، أو مجردًا فبشرطين: كونه حالاً أو استقبالاً، واعتمده على نفي، أو استفهام، أو مخبر عنه، أو موصوفٍ، و"باسط ذراعيه"، على حكاية الحال، فاسم الفاعل عنده هو موصوف، الدال على الفاعل، الجاري على حركات المضارع وسكناته؛ كضارب ومكرم، لا يخلوا أن يكون بأل، أو مجردًا منها»[51].

وعرّفه "ابن عقيل" بالقول: «لا يخلو اسمُ الفاعل من أن يكون مقرونًا بـ" أَلْ"، أو مجردًا؛ فإن كان مجرّدًا عَمِلَ عَمَلَ فعلهِ، من الرفع والنصب، وإن كان مستقبلا أو حالاً، نحو: هذا ضاربُ زيدًا الآن، أو غَدًا»[52]، وذكر "ابن معطي"، فقال:

فَالأَوَّلُ اسْمُ فَاعِلٍ لِلْحَالِ أَوِ اسْمُ فَاعِلٍ لِلاسْتِقْبَالِ
يَنْصِبُ مَفْعُولًا بِهِ كَالْفِعْلِ تَقُولُ زَيْدُ مُبْغِضُ ذَا البُخْلِ
وَالْشُرط فِي إِعْمَالِهِ أَنْ يَعْتَمِدْ عَلَى مُصَدِّرٍ إِلَيْهِ يَسْتَنِدْ
فَإِنْ تُرِدْ بِهِ المِضِيِّ فَأَضِفْ وَإِنْ تُعَرِّفْهُ بِلَامٍ وَأَلِفْ
فَالنَّصْبُ لَازِمُ بِكُلِّ حَالِ فِي الحَالِ وَالمَاضِي وَالِاسْتِقْبَالِ[53].

8- أفعال التفضيل: أما أفعل التفضيل فـ:«يُصاغُ من الأفعال التي يجوزُ التعجُّب منها . للدلالة على التفضيل . وصْفُ على وزن" أَفْعَلَ"، فتقول: "زَيْدُ أَفْضَلُ من عَمْرٍو"، و"أَكْرَمُ من خَالِدٍ"، كما تقول: "ما أَفْضَلَ زَيْدًا"، و"ما أَكْرَمَ خالدًا"»[54].

وعرّفها "خالد بن عبد الله الأزهري" (ت 905هـ) بالقول: «وهو الوصف المبني على أَفْعَلَ لزيادة صاحبة على غيره في أصل الفعل، وأما "خَيْرُ" و"شَرُّ" في التفضيل فأصلهما: "أَخْيَرُ" وَ"أَشَرُّ"؛ فحذفت الهمزة بدليل ثبوتها في قراءة "أبي قلابة": ﴿مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾سورة القمر، الآية: 26.، بفتح الشين، وتشديد الراء»[55]، وقال ابن معطي:

وَأَفْعُل التَّفْضِيلِ لَيْسَ يَرْتَفِعُ مَظْهَرُهُ إِلَّا شُذُوذًا قَدْ سُمِعْ

فِي مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحْسَنَ فِي عَيْنَيْهِ كُحْلُ مِنْهُ فِي عَيْنِ الصَّفِي

إِمَا أَضَفْتَهُ وَإِمَّا نَصْبَا كَخَيْرِ حَافِظٍ وَخَيْرِ عُقْبَا[56].

واكتفى بذكر الأمثلة فقط بقوله: "مررت برجلٍ أكرم الناسِ"[57].

7- الصفة المشبهة: والصفة المشبَّهة باسم الفاعل، «لا تعمل إلا متعمدةً على ماله صَدْرُ الكلام، من نفي واستفهام، أو معتمدةً على مُخْبَرٍ عنه، أو موصوف أو موصول، كاسم الفاعل، وتعمل في السَّببيّ دون الأجنبي، نحو قولك: "مررت برجلٍ حَسَنٍ وَجْهُه"، ويجوز نصبه على التشبيه بالمفعول به، وإن شئت عَرَّفْتَ الوجهَ بالألف واللام، فأضفت، وإن شئت نصبت، وإن نَكَّرْتَ فلك الوجهان»[58].

وقال "ابن عصفور": «الصفة المشبهة باسم الفاعل هي كل صفة مأخوذة من فعل غير متعدٍّ؛ لأنها إنّما شُبهت باسم الفاعل المأخوذ من الفعل المتعدّي، فعملت عمله، ووجه الشبه بينهما أنّها صفة كما أن اسم الفاعل كذلك، وأنّها متحملة للضمير، كما أنّ اسم الفاعل متحمل ضميرًا، وأنها طالبة للاسم بعدها، كما أنَّ اسم الفاعل طالب للاسم بعده، وأنّها تذكّر، وتؤنّث، وتثنّى، وتجمع، كما أنّ اسم الفاعل كذلك، فتقول: "مررت برجل حسنِ الوجهِ"، فتقول: "مررت بِرجلٍ ضاربٍ زيدًا"، فلمّا أشبهته من هذه الوجوه عملت عمله»[59].

أما "ابن هشام الأنصاري" فأكد أن: «المتعدي لواحدٍ وهي الصفة المصوغة لِغَيْرِ تَفْضِيلٍ لإِفَادَةِ الثُّبُوتِ ك: "حَسَنٍ، وظَرِيفٍ، وَطَاهِرٍ، وَضَامِرٍ"، ولا يَتَقَدَّمُهَا مَعْمُولُهَا، وَلاَ يَكُونُ أَجْنَبِيًّا، وَيُرْفَعُ على الفَاعِلِيَّةِ أَوْ الإِبْدَالِ، وَيُنْصَبُ على التَمْيِيزِ أو التَّشْبِيهِ بالمَفْعُولِ بِهِ، والثاني يَتَعَيَّنُ في المَعْرِفَةِ، وَيُخْفَضُ بالإِضَافَةِ»[60]، وذكر ابن معطي:

وَيُشْبِهُ اسْمَ الفَاعِلِ الِاسْمُ الصِّفَهْ كَيْفَ أَتَتْ نَكِرَةً أَوْ مَعْرِفَهْ

فِي سَبَبٍ لَا أَجْنَبِيٍّ أُعْمِلَتْ إِذْ ثُنِّيَتْ وَجُمِعَتْ وَأُنِّثَتْ

وَالأَصْلُ فِي مَعْمُولِهَا أَنْ يَرْتَفِعْ وَقَدْ يُجَرُّ وَانْتِصَابُهُ سُمِعْ

تَقُوُل زَيْدُ حَسَنُ المقَالِ وَهْوَ جَمِيلُ الوَجْهِ وَالفِعَالِ[61].

11- الاسم المقصور والممدود: يعرّف "ابن الحاجب" (ت 646 هـ) المقصور بقوله: «ما آخِرُه أَلِفٌ مُفْرَدَةٌ؛ كالْعَصَا والرَّحى»[62]، وقال ابن معطي:

القَوْلُ فِي المقْصُورِ وَالمِمْدُودِ يُعْرَفُ بِالقِيَاسِ وَالتَّعْدِيدِ

مِنْ القِيَاسِ أَنْ تَقُولَ المصْدَرُ لِفِعْلٍ يَعْتَلُّ حَتْمَا يُقْصَرُ

مِثْلُ الصَّدَى وَكَالطَّوَى وَالمفْتَعَلْ يُقْصَرُ مِثْلُ المشْتَرَى كَذَا الفُعَلْ[63].

وجاء في الفصول الخمسين: «المقصور يُعرف قياسًا، فمن أقيسته أن يكون مصدرًا لفَعِلَ يَفْعَلُ، نحو: صَدَى، يَصْدَى، والمصدر: الصَّدَى، وهو مقصور، وكذلك هَوِيَ، يَهْوِىَ، هَوًى، وَعَمِيَ، يَعْمَى، عَمًى، ومنها أن يكون جمعه على أفعال؛ نحو: أَرْجاء، فالواحد: رَجًا، مقصور»[64].

وللممدود أقيسة؛ «أن يكون مصدرًا لأَفْعَلَ، كأَعْطَى إعطاء، وكذلك مصدر جميع ما زاد على ثلاثة أحرف، نحو: رامَى رِماءَ، واسْتَدْعَى استدعاءَ، ومنها ما كان على فُعال، من الأصوات، كالعُواء، والدُّعاء، والبُكاء، وقد يُقْصَر البكاء، على معنى الحزن»[65].

وقال "ابن هشام الأنصاري": «أن يكون له نظير من الصحيح يجب قبل آخره أَلِفٌ، وهذا النوع ممدود وبالقياس، وله أمثلة؛ منها أن يكون الاسم مصدرًا لـ" أَفْعَلَ"، أو لفِعْل أولُه همزة وَصْلٍ كـ "أَعْطَى إعطَاءً"، و"ارتأى ارتئاءً"[66]، وقال "ابن عقيل": «الاسم الذي آخره همزة، تلي ألفًا زائدة؛ نحو:"حمراء"، و"كساء"، و"رِدَاء"»[67]، وقال ابن معطي في باب الممدود:

وَيُعْرَفُ المَمْدُودُ بِالقِيَاسِ كَمَصْدَرٍ لِاسْتَفْعَلَ السُّدَاسِي
كَمِثْلِ الاسْتِلْقَاءِ وَالفِعَالِ نَحْوُ رِمَاءٍ وَكَالِافْتِعَالِ
أَوْزِنَةِ الأَفْعَالِ وَالأَفْعَالِ وَزِنَةِ الفعْلَاءِ وَالفِعْلَالِ[68].

9- التذكير والتأنيث: والتذكير والتأنيث مبحث آخر و«أصل الاسم مذكَّرًا، ولكون التذكير هو الأصل اسْتَغْنَى الاسمُ المذكَّرُ عن علامةٍ تدلُّ على التذكير»[69]، وقال أيضا: «التأنيث فرع عن التذكير، ولكونه فرعًا عن التذكير افْتَقَرَ إلى علامة تدلُّ عليه، وهي: التاء، والألف المقصورة أو الممدودة، والتاء أكثر في الاستعمال من الألف، ولذلك قدِّرت في بعض الأسماء كـ "عين" و"كَتِفٍ"»[70].

قال "ابن هشام الأنصاري": «لما كان التأنيث فرع التذكيرِ احتاج لعلامة، وهي إما تاء محرَّكة، وتختصّ بالأسماء، كـ" قائمة"، أو تاء ساكنة وتختص بالأفعال، كـ" قامتْ"، وإما ألف مفردة كـ "حُبْلَى"، أو ألف قبلها ألف، فتقلب هي همزة كـ" حَمْراء" ويختصان بالأسماء»[71]، وقول ابن معطي:

القَوْلُ فِي التَأْنِيثِ وَالتَّذْكِيرِ تَذْكِيرُ الِاسْمِ الأَصْلُ كَالتَّنْكِيرِ[72].

وجاء في فصوله الخمسين: «الأصل في الأسماء التذكير، وإنما التأنيث فرع منه، ثم المؤنث على ضربين: مؤنث بعلامة، ومؤنث بغير علامة؛ فعلامة التأنيث على أقسام: التاء التي تُبدل في الوقف هاء، والألف المقصورة، في نحو: "كِسْرَى" و"سَكْرَى"، و"جَرْحَى"، والألف الممدودة، نحو: "حمراء" و"أنبياء"، والتاء في الفعل، نحو: "قامتْ" و"قعدتْ"، والنون في جمع المؤنث: نحو: "ضَرَبْنَ"، والتاء المكسورة، نحو: "أنتِ"، والياء في "هذى"، والهاء في "هذه"، التي هي تُبْدَل من الياء في "هذى"»[73].

10- التصغير: وفي باب التصغير ذكر "ابن عقيل": «إذا صُغِّرَ الاسم، المتمكن ضمَّ أولُه، وفُتح ثانيه، وزِيدَ بعد ثانيه يَاءٌ ساكنة، ويُقتصر على ذلك إن كان الاسم ثلاثيا، فتقول في"فَلْس": "فُلَيْسٌ"، وفي" قَذًى": "قُذَيٌّ"، وإن كان

رباعيًّا فأكثرَ فُعِل به ذلك، وكُسِرَ ما بعد الياء، فتقول في"درهم": "دُرَيْهِمٌ"، وفي"عصفور": "عُصَيْفِيرٌ"، فأمثلة التصغير ثلاثة: "فُعَيْلٌ" و"فُعَيْعِلٌ" و"فُعَيْعيلٌ»[74]، وجاء في درة ابن معطي:

القَوْلُ فِي أَبْنِيَةِ التَّصْغِيرِ أَشْبَهُ شَيْءٍ هُوَ بِالتَّكْسِيرِ
عَلَى فُلَيْس وَدُرَيِّهِمٍ بُنِي ثُمَّ دُنَيْنِيرٍ بِيَاءٍ لَيِّنِ
أَوَّلُهَا جَمِيعُهَا قَدْ ضُمّا فَلِلثُّلاَثِيِّ فُعَيْلٌ حَتَمَا
فَقُلْ مُثَلِّثًا لِذَاكَ رَاوِيًا أَخْشَى رُكَيْبًا أَوْ رُجَيْلًا عَادِيَا[75].

بمعنى «أن تأتي إلى الاسم فتظُمَّ أوله، وتفتح ثانيه، وتلحق ياء التصغير ثالثه ساكنة، وتكسر ما بعدها، إلا أن يكون حرفَ إعراب، أو في هاءُ التأنيث، أو ألفه الممدودة أو المقصورة، أو ألف أفعالٍ، أو ألف فعلان»[76].

11- االنسب: والنسب: «إذا أريد إضافةُ شيءٍ إلى بلد، أو قبيلة، أو نحو ذلك، جُعِلَ آخرُه ياءً مشدَّدة، مكسورًا ما قبلها، فيقال في النسب إلى" دمشق": "دِمَشْقِيٌّ"، وإلى "تميم": "تَمِيميٌّ"، وإلى "أحمد": "أحمديٌّ»[77].

أما "القاسم أبو نصر" فقال: «إذا نَسَبْتَ إلى الاسْمِ فهو على ضَرْبَيْن: تَدَعُهُ على حَالِهِ، وتَزِيدُ ياءً مُشَدَّدَةً مَكْسُورًا ما قَبْلَها، فَتَقُولُ في زَيْدٍ: زيدىٌ، وفي جَعْفَر: جَعْفَرِيٌّ، وإنّما زِدْتَ ياءً مشدّدةً، لِيَكُونَ فَرْقًا بين ياءِ الإضافَةِ، وَياءِ النسب؛ لأنَّك لو قُلْتَ: زَيْدى لَفُهِمَ أَنَّكَ أَضَفْتَهُ إلى نفسِكَ»[78]، وذكر ابن معطي:

القَوْلُ فِي النِّسْبَةِ وَهِيَ يَاءُ زَائِدَةٌ تُعْزَى بِهَا الأَسْمَاءُ
إِلَى قَبِيلٍ أَوْ أَبٍ أَوْ لِبَلَدْ أَوْ لِصِنَاعَةٍ وَيَاؤُهُ تُشَدْ
وَقَبْلَهُ كَسْرُ كَزَيْدِيِّ النَّسَبْ وَحَذْفُ كُلِّ تَاءٍ تَأْنِيثٍ وَجَبْ[79].

بمعنى: «وهو أن تَعْزُوَ الاسمَ إلى أب، أو قبيلة، أو حَيٍّ، أو صناعة، بياء مشددة في آخر الاسم، مكسورٍ ما قبلها، وقد يُعوَّض عن إحدى الياءين ألفُ، فتقول في يَمَنِيٍّ: يَمان، وكذلك في شاميٍّ: شام، ولا يجوز التشديد مع الألف، لأنه جَمْعُ بينَ العِوَّض والمعَوَّض عنه»[80].

وخلاصة القول: إن ابن معطي بما قدّمه من تصنيف في باب الصرف يستحق التنويه والدراسة؛ حيث استطاع الجمع بين فصاحة القول، وبراعة الإيقاع، وجودة النظم، وتيسير العلم، كما أن نظمه "الدرة الألفية" يعد شاهدا آخر من الشواهد الكثيرة على ثراء المدونة اللغوية والصرفية الجزائرية بما قدمته من إسهام في الحفاظ على اللغة العربية، بضبط أحكامها، وتوضيح مباحثها، ومكاشفة أسرارها، نظما وشرحا، وهذه المزاوجة بين النظم والشرح إن دلت على شيء إنما تدل على براعة الرجل وسعة علمه.

الهوامش:

(1) ابن معطي: الفصول الخمسون، تحقيق محمود محمد الطناحي، دار الكتب، القاهرة، مصر، 1977م، ص 29 .

(2) من هؤلاء طه حسين في كتابه حديث الأربعاء، وشوقي ضيف:التطور والتجديد في الشعر الأموي.

(3) من هؤلاء الأستاذ أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام، وشكري فيصل في كتابه: مناهج الدراسة الأدبية ومصطفى هدارة في كتابه: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري.

[4] عبد الكريم الأسعد: حول الشعر التعليمي، منشور ضمن مقالات منتخبة في علوم اللغة العربية ، نشر دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، ط1 ، 1415 هـ، ص 210 .

[5]مصطفى بن عبد الله الشهير بحاج خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، بيروت، 1402 هـ، ج2/1865 . 1868 ، و1960 . 1964 .

[6]محمد مصطفى هدارة: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، طباعة ونشر دار المعارف المصرية، الطبعة الثالثة ، 1977م، ص 354 ، والشعر التعليمي (ضمن مقالات منتخبة في علوم اللغة)، ص 405 .

[7] عبد الكريم الأسعد: الشعر التعليمي، ص 408 .

[8] حسان بن عبد الله بن محمد الغنيمان: المنظومات النحوية وأثرها في تعليم النحو، مجلة كلية دار العلوم، عدد33، القاهرة، مصر، ص ص 219-297.

[9] - وهي قبيلة كبيرة بظاهر بجاية وهي مدينة ساحلية إفريقية متوسطية بالجزائر.

[10] – عبد الله الفوزان، دليل المسالك، دار المسلم، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص 17.

[11] – مدينة تقع على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، طهران، 1965م، ج1 ص 495.

[12] – صالح بلعيد: مقاربات منهاجية، دار هومة، الجزائر، 2004م، ص132.

[13] المرجع نفسه، ص 132.

[14] – عبد الله الفوزان، دليل المسالك، ص 17.

[15] – ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1397 هـ لدين عبد الحميد، ج3، ص 157.

[16] – عبد الله الفوزان، دليل المسالك، م.س، ص 18.

[17] – ابن معطي، الفصول الخمسون، تح. محمود محمد الطناحي، دار الكتب، 1977م، ص 26.

[18] – نفسه، ورقة 39.

[19] – ديوان لبيد، تح. إحسان عباس، الكويت، 1962م، ص 86.

[20] – ابن الخباز أحمد بن الحسين بن أحمد: الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية في علم العربية لابن معطي، بخط علي ابن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن محمود بن مودو محمود بن بلدجي، مكتبة جامعة الرياض – قسم المخطوطاتhttp://makhtota.ksu.edu.sa/makhtota . م.س، الورقة رقم1 .

[21] – المقري، نفح الطيب من عصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان عباس، بيروت، لبنان، 1968م، 2/ ص 232.

[22] – ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تصحيح محمد سيد جاد الحق، القاهرة، 1968م، ج1/ ص 181.

[23] – الصفدي، نكت الهميان في نكت العميان، تح. أحمد زكي، القاهرة، مصر، 1911م، ص 96.

[24] – السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مصر، 1964، ج1/ ص 44.

[25] – ابن معطي: الفصول الخمسون، ص 47.

[26] – ابن الخباز، الغرة المخفية، م.س، ورقة 124.

[27] – عبد القاهر الجرجاني، كتاب المفتاح في الصرف، تح. علي توفيق الحمد، كلية الآداب جامعة اليرموك، إربد، عمّان، ط1، 1407هـ- 1987م، ص 26.

[28] – جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، م.س، ص 184.

[29] – ابن الخباز، الغرة المخفية، م.س، ورقة 124.

[30] – ابن المعطي، الفصول الخمسون، م.س، ص 262.

[31] – م.ن، ص 176.

[32] – القاسم بن محمد بن مبشر الواسطي الضرير أبو نصر، شرح اللمع في النحو، ص 37.

[33] – ابن الخباز، الغرة المخفية، م.س، ورقة 43.

[34] – ابن المعطي، الفصول الخمسون، م.س، ص 177 – 178.

[35] – بهاء الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيلي، شرح ابن عقيل، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ، 1997م، 2/ ص 23.

[36] – القاسم بن محمد بن مبشر الواسطي الضرير، شرح اللمع في النحو، م.س، ص 188.

[37] – ابن الخباز، الغرة المخفية، م.س، ورقة 76.

[38] – ابن المعطي، الفصول الخمسون، م.س، ص 178- 179.

[39] – أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الإشبيلي، شرح جمل الزجاجي، تح. فواز الشعار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م، 2/ ص 75.

[40] – القاسم بن محمد بن مبشر الواسطي الضرير، شرح اللمع في النحو، م.س، ص 187.

[41] – ابن الخباز، الغرة المخفية، م.س، ورقة 77.

[42] – ابن المعطي، الفصول الخمسون، م.س، ص 179.

[43] – ابن الخباز، الغرة المخفية، م.س، ورقة 75.

[44] – القاسم بن محمد بن مبشر الواسطي بن ضرير، شرح اللمع في النحو، م.س، ص 178.

[45] – بهاء الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله العقيلي، شرح ابن عقيل، م.س، ص 120، 122، 124.

[46] – ابن الخباز، الغرة المخفية، م.س، ورقة 75.

[47] – ابن معطي ، الفصول الخمسون، م.س، ص 184.

[48] – جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، بركات يوسف هبود، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1424هـ- 2004م، ص 58.

[49] – عبد القاهر الجرجاني، كتاب المفتاح في الصرف، تح. علي توفيق الحمد، كلية الآداب جامعة اليرموك، إربد، عمّان، ط1، 1407هـ- 1987م، ص 52.

[50] – ابن الخباز، الغرة المخفية، م.س، ورقة 80.

[51] – جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، م.س، ص 362.

[52] – بهاء الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله العقيلي، شرح ابن عقيل، م.س، ص 405.

[53] – ابن الخباز، الغرة المخفية، م.س، ورقة 77.

[54] – بهاء الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله العقيلي، شرح ابن عقيل، م.س، ص 32.

[55] – شرح الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري على أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري، شرح التصريح على التوضيح، تح. محمد باسل عيون الودج، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1427هـ- 2006م، 2/ ص 92.

[56] – ابن الخباز، الغرة المخفية، م.س، ورقة 79.

[57] – ينظر ابن المعطي، الفصول الخمسون، م.س، ص 224.

[58] – ابن معطي، الفصول الخمسون، م.س، ص 219، 220.

[59] – أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الاشبيلي، شرح الجمل للزجاجي، م.س، ص 25.

[60] – جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، م.س، ص 371.

[61] – ابن الخباز، الغرة المخفية، م.س، ورقة 79.

[62] – عبد القادر البغدادي، شرح شافية ابن الحاجب، تح. محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2/ ص 324.

[63] – ابن الخباز، الغرة المخفية، م.س، ورقة 117.

[64] – ابن معطي، الفصول الخمسون، م.س، ص 254.

[65] – م.ن، ص 254.

[66] – جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، م.س، ص 132.

[67] – بهاء الدين أبي محمّد عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله العقيلي، شرح ابن عقيل، م.س، ص 188.

[68] – ابن الخباز، الغرة المخفية، م.س، ورقة 118.

[69] – بهاء الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله العقيلي، شرح ابن عقيل، م.س، ص 182.

[70] – م.ن، ص 182.

[71] – جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، م.س، 2/ ص 126.

[72] – ابن الخباز، الغرة المخفية، م.س، ورقة 108.

[73] – ابن المعطي، الفصول الخمسون، م.س، ص 246.

[74] – بهاء الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله العقيلي، شرح ابن عقيل، م.س، ص 208.

[75] – ابن الخباز، الغرة المخفية، الورقة رقم 105من المخطوط الالكتروني.

[76] – ابن معطي، الفصول الخمسون، م.س، ص 248.

[77] – بهاء الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن عبد الله العقيلي، شرح ابن عقيل، م.س، ص 214.

[78] – القاسم بن محمد بن مبشر الواسطي بن ضرير، شرح اللمع في النحو، م.س، ص 242.

[79] – ابن الخباز، الغرة المخفية، م.س، ورقة 113.

[80] – ابن معطي، الفصول الخمسون، م.س، ص 251.